بسم الله الرحمن الرحيم

كان الناس قبل الإسلام في جاهلية وشرّ، متفرقين أيّما تفرق، هذا يفتخر بنسبه وحسبه، وهذا بأصله وفصله، وهذا بلونه وعرقه، فجاء الإسلام ليزيل هذه النّعرة العنصرية الجاهلية، فلم يفرق بين أسود وأبيض، ولا بين نسب ونسب كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾. [الحجرات:١٣].

قال ابن كثير في تفسيره رحمه الله: «يقول تعالى مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبًا، وهي أعمّ من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغيرذلك... فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينيّة إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينيّة، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبّها على تساويهم في البشرية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌ يرجع إلى قبيلته». [تفسير ابن كثير(١٣/١٦٨)].

وأكد النبيّ ﷺ على معنى الآية فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ



فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى » . [رواه أحمد في مسنده (٢٣٤٨٩)].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية أنه قال: « لا أرى أحداً يعمل بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾. فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك! فليس أحدٌ أكرم من أحدٍ إلا بتقوى الله ». [رواه البخاري في الأدب المفرد(٨٩٨)].

وقد حذر رسول الله ﷺ من جعل هذه الأنساب سُبَّة ومفخرة يفتخر بها الشخص على غيره فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ[1] لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلاَّ بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى وَكَفَى بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَذِيًّا بَخِيلًا فَاحِشًا » .[رواه أحمد في مسنده(١٧٤٤٦)].

وجعل الإسلام هذه العصبيّة العنصريّة من أمور الجاهلية، وتأمّل هذه القصة التي يحكيها أبو ذر رضي الله عنه عن نفسه فقال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: « أَسَابَبْتَ

(١) أي كلكم قريبٌ بعضُكم من بعض فليس لأحد فضلٌ على أحد إلا بالتقوى لأنَّ طَفَّ الصاع قريب من ملئه فليس لأحد أن يقرّب الإناء من الامتلاء. ينظر: لسان العرب(٩/١٢٥).



فُلَانًا، قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » .[رواه البخاري(٦٠٥٠)، مسلم (١٦٦١)].

ومع كون هذه الشعارات العنصرية جاهلية فقد وصفها رسول الله ﷺ بأقبح الأوصاف وهي أنها «منتنة» فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ[2] رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ: يَا لَلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » . [رواه البخاري (٤٩٠٧)،ومسلم (٢٥٨٤)].

ولم يأت هذا التحذير والتّقبيح لهذه العنصرية إلا لأنّها تفرق بين المسلمين، وتزرع بينهم العداوة والبغضاء، والإسلام حث على أن يكون المسلمون كالجسد الواحد كما قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » . [رواه مسلم(٢٥٨٦)].

وليس لتعلّم الأنساب ومعرفتها إلا حكمة واحدة وهي التعارف، يعرف المسلم أرحامه وأنسابه كما قال تعالى ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾، وجاء عن النبي ﷺ قال: « تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ » . [رواه الترمذي (١٩٧٩)].

(٢) أي ضرب دُبُرَه بيده. ينظر: لسان العرب (١٣/٦٦).

ومن جميل ما قرره ابن أبي زيد القيرواني المالكي قال: «وقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[٣] الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[٤] وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي رَجُلٍ تَعَلَّمَ أَنْسَابَ النَّاسِ: «عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجَهَالَةٌ لَا تَضُرُّ»[٥] وَقَالَ عُمَرُ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»»[٦].

قال شارح كلام القيرواني: « فظهر بهذا أن النّسب لا ينفع وإنما ينفع العمل الصالح ، وأيضًا التفاخر يؤدّي إلى إيقاع العداوة والبغضاء والتنافر وهو محرم بالإجماع»[٧].

إذاً لم يفرّق الإسلام، ولم يميّز بين الناس بهذه العنصريات القبلية والشكلية، بل جعلها للتعارف لا للسباب والطعان، وإنّما جعل التمييز في أمر واحد وهو الدّين والتّقوى والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى» وقد نص الله على هذه التفريق والتمييز فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي

(٣) بضم العين: الحمل الثقيل، وبالغين المعجمة من الغباوة وهي التناهي في الجهل والجهالة.

(٤) رواه أبو داود (٥١١٨)، والترمذي (٣٢٧٠).

(٥) عزاه المزي في تحفة الأشراف (٣١١/١٢) إلى مراسيل أبي داود ولم أقف عليه فيه، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٨٧٢).

(٦) رسالة القيرواني (٢١٤).

(٧) الفواكه الدواني (٤٥٦/٢).



الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨].

وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

والحمد لله رب العالمين

## من مطويات الشيخ أيضا

# دعوها فإنها مُنتنة

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فرج آل فرج الزروعي

@Baynoonanet
www.baynoona.net